05/05/2025

قداسته برثلماوس، رئيس أساقفة القسطنطينية – روما الجديدة والبطريرك



المسيح قام حقاً قام
كلمة الكلي القداسة رئيس اساقفة القسطنطينية روما الجديدة والبطريرك
المسكوني برثلماوس الأول ، في مخيم “Laudato SI”: “عشر سنوات من الرسالة
العامة “Laudato SI”، [كاسيرتا، 3 ايار 2025
صاحب السيادة متروبوليت إيطاليا، المطران بوليكاربوس،
صاحب السعادة المطران بييترو لاغنيسي، رئيس أساقفة كاوا وكاسيرتا،
سعادة المونسنيور أنطونيو دي دونا. أسقف أتشيرا ورئيس مؤتمر أساقفة
كامبانيا،
صاحب السعادة المطران فرانشيسكو ألفانو، رئيس أساقفة سورينتو،
أصحاب السعاظة والمعالي،
حاكم كازيرتا الشهير، الدكتورة لوسيا فولبي،
محافظ باري اللامع، الدكتور ميشيل دي باري،
جميع السلطات،
أيها الإخوة والأخوات الأعزاء في الرب،
المسيح قام. حقا قام.
نحييكم بتهنئة عيد الفصح التي تميز الفترة الليتورجية، في هذه اللحظة
المؤثرة للغاية، والتي نتذكر فيها الذكرى السنوية العاشرة للرسالة العامة
“Laudato Sì” لأخينا الحبيب من روما، البابا فرنسيس. أراد الرب، واهب الحياة، أن

يكون بجانب نفسه خلال أسبوع قيامة المسيح الأكثر روعة وإشراقاً. لقد كان الباباوات فرانسيس أخيراً، حيث جمعنا معه صداقة عميقة وفوق كل شيء انسجام في الهدف، منذ صعوده إلى عرش كنيسة روما. لقد كانت هناك أسباب عديدة للقاء والتعاون لتعزيز رحلة كنائسنا نحو الكأس المشتركة، ولصالح الإنسانية.
اجتمعنا معاً في كنيسة القيامة لإحياء ذكرى لقاء سلفينا المباركين الباباوات يوحنا بولس السادس والبطريرك أثيناغوراس، اجتمعنا معاً لجذب انتباه العالم إلى مشكلة المهاجرين واللاجئين، ورفعنا معاً أصواتنا من أجل السلام، وخاصة في هذه الأوقات المظلمة التي تمر بها البشرية، ولكن قبل كل شيء كان صديقاً مخلصاً ورفيقاً لنا في إعلان عجائب الله.
لقد رتب الرب أمراً آخر، ولكن بالتأكيد من أرض الأحياء ومن مساكن الأبرار حيث يستقبله الآب، سيستمر في الصلاة حتى نتمكن من الاستمرار في التعاون في كل تلك الأعمال الثمينة للبشرية والتي وحدتنا كثيراً ومن أجل وحدة كنائس الله المقدسة. رحم الله روحه الطاهرة.
ومن بين المبادرات العديدة التي جمعتنا، كان هناك أيضاً التزامنا المشترك بحماية البيئة الطبيعية التي وهبها لنا الله. سوف نكون دائماً ممتنين للباباوات فرنسيس الطوباوي، لأنه ذكر في بداية رسالته العامة “Laudato Sì”، مساهمة تواضعنا في هذا الموضوع، والتي من خلالها طلبنا أيضاً التزام الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الشقيقة وجميع الكنائس والطوائف المسيحية الأخرى.
سنحاول بشكل مختصر أن نقترح بعض الأفكار حول الرسالة العامة “كن مسبحاً”، وهو في ضوء اللاهوت الأرثوذكسي والتزامنا الشخصي بحماية البيئة الطبيعية، التزام تمليه معايير ذات طبيعة روحية وليست بيئية بحتة.
أصبحت رسالة الباباوات فرنسيس العامة Laudato Si جزءاً من تاريخ السلطة التعليمية للكنيسة الكاثوليكية الرومانية . تسعى الرسالة العامة إلى توفير غذاء للفكر بشأن إحدى أعظم مشاكل عصرنا: المشكلة البيئية. منذ عدة سنوات يحاول الأقوياء في هذا العالم إيجاد حل للمشاكل البيئية الكبرى التي تتسبب في تدمير كوكبنا. تحاول المؤتمرات والاجتماعات في جميع أنحاء العالم بشكل يائس حل مشكلة الاستغلال غير الأخلاقي لموارد الكوكب والذي تغذيته الغطرسة البشرية وأيديولوجية النفعية. إن الأمر ال يتعلق فقط بالاختلافات السلوكية، بل يتعلق بعقلية خاطئة تمامًا وكارثية تؤدي من خلال الرفاهية إلى تدمير الجنس البشري.
الأيديولوجية الكارثية المهيمنة، وكارتاحيده إلى استعادة السلوك الأخلاقي.
قبل تحليل العلاقة بين هذه الرسالة العامة وفكر الكنيسة الشرقية، من المناسب أن نتوقف عند اللاهوت الذي تقدمه. في هذه الرسالة العامة، يتأثر الباباوات فرنسيس باللاهوتية لشخصيات أرثوذكسية بارزة. فهو ال ينتج كتابات أو أطروحة في اللاهوت المقارن. وهو يتغلب على هذه العقبة من خلال تقديم طريقة جديدة للتعامل مع اللاهوت: فهو يدمج بطريقة مبتكرة كل هذه الرؤى اللاهوتية، والتي تختلف أحياناً عن بعضها البعض في المحتوى والحساسية، ويتمكن من تقديم تولیفة جديدة لنا. يقدم هذا التوليف للعالم اللاهوتي رؤية مبتكرة يمكن أن يستلهم منها.

إن الهوت الكنيسة الأرثوذكسية وطريقة معالجتها للقضايا البيئية تجد مساحة واسعة في الرسالة العامة Laudato Si . منذ الفقرات الأولى، يشير البابا ديشيد صراحة إلى المساهمة في تواضعنا وفي البطريركية المسكونية، ويشير بالالتزام والمساهمة الهائلة في هذا الموضوع . ولا ننسى فكر اللاهوتي المعروف يواني يس زيزيولاس، متروبوليت بيرغاموم، وذ الذكرى الطيبة. في اللاهوت الأرثوذكسي، تعتبر المشاكل البيئية والإيكولوجية ذات أهمية أساسية. وعلى نحو مماثل، يقدم متروبوليت بيرغاموم، إجابة على هذه القضايا، الرؤية اللاهوتية للإنسان الليتورجي الذي لا يحوّل نفسه فقط، بل إنه من خلال تحوّله يتمكن من تحوّل العالم بأسره، كل الخليقة.

منذ عهد سلفنا المبارك البطريرك ديمتريوس، في عام 1989، تم إرسال رسالة عامة بشأن المشاكل البيئية إلى العالم المسيحي بأكمله، وتم اقتراح الأول من سبتمبر يوماً للصلاة والتأمل في هذا الموضوع. وهو يعتمد على قرارات المؤتمر الأرثوذكسي الثالث في جنيف (1986) والمؤتمرات البيئية في وفيا، بلغاريا (1987) وباتموس (1987) مع إنتاج اللاهوتي ملحوظ. ذكرت الرسالة العامة: " للأسف، في أيامنا هذه، وتحت تأثير العقلانية المتطرفة والأنانية، فقد الإنسان الإحساس بقدسية الخليقة ويتصرف عليها كحاكم متعسف ومدنس وقح. وبدلاً من الروح الإفخارستية والزهدية التي ربت بها الكنيسة الأرثوذكسية أبناءها لقرون، نشهد اليوم انتهاكاً للطبيعة يُساء استخدامه لإشباع رغبات وجشع البشرية اللانهائية والمتزايدة باستمرار، بتشجيع من الفلسفة السائدة لمجتمع الاستهلاك. [...] ندركين تماماً لواجبنا ومسؤوليتنا الروحية آباء، [...] لقد توصلنا إلى قرار. لذلك نعلن الأول من سبتمبر من كل عام يوماً لحماية البيئة، وهو اليوم الذي ستُقدم فيه، بمناسبة عيد الإرشاد، أي بداية السنة الكنسية، في هذا المركز المقدس للأرثوذكسية، الصلوات والابتهالات من أجل الخليقة كلها. "وبهذه الرسالة الأبوية ندعو العالم المسيحي أجمع إلى أن يقدم، مع كنيسة المسيح الأم المقدسة العظيمة والبطريركية المسكونية، كل عام في هذا اليوم، صلوات وتضرعات إلى خالق كل الأشياء، لنشكره على عطية الخلق العظيمة ولنتوسل إليه من أجل حماية البيئة وخلاصها."[1]

وعلى نحو مماثل، فإننا أيضاً، من خلال المؤتمرات والرحلات والعظات والمنشورات، حاولنا ليس فقط تقديم حل للمشاكل البيئية المختلفة، بل وفي الوقت نفسه، التزمنا بتوعية الأقوياء على الأرض (فقرة .

في الوقت نفسه، أعلن المجمع المقدس الكبير للكنيسة الأرثوذكسية، المنعقد في كريت عام ٢٠١٦، رسمياً أن: "الرغبة في النمو المستمر للرفاهية والاستهلاك الجامح يؤديان حتماً إلى الاستخدام غير المتناسب للموارد والاستهلاك الطبيعي واستنزافها. [...] إن الأزمة البيئية، المرتبطة بتغير المناخ والاحتباس الحراري، تحتم على الكنيسة المساهمة، من خلال الوسائل الروحية المتاحة لها، في حماية خلق الله من عواقب الجشع البشري. فالجشع في إشباع الحاجات المادية يؤدي إلى إفقار روحي للإنسان وتدمير البيئة. [...] لذلك، تؤكد الكنيسة الأرثوذكسية على حماية خلق الله من خلال ثقافة المسؤولية الإنسانية تجاه بيئتنا التي وهبها الله لنا، ومن خلال تعزيز فضيلتي

الاقتصاد والاعتدال. وعلينا أن نتذكر أن ليس للأجيال الحالية فحسب، بل للأجيال القادمة أيضاً، الحق في التمتع بالخيرات الطبيعية التي وهبها لنا الخالق."[2]

الحق في التمتع بالخيرات الطبيعية التي وهبها لنا الخالق."[2]

ويؤكد البابا فرنسيس على التزام البطريرك المسكوني في إيجاد " الجذور الأخلاقية والروحية للمشاكل البيئية، ويدعونا إلى البحث عن حلول ليس فقط على التكنولوجيا، بل أيضاً في التغيير في الإنسان لأنا سنتعامل فقط مع الأعراض" (فقرة 9).

إن الملاحظة الثاقبة للبابا فرنسيس تظهر جوهر الفكر البيئي للبطريركية المسكونية. ومن خلال التزامنا المتعدد الأوجه، لم نكتف بتسليط الضوء على القضايا البيئية، ولا بتوفير الحلول التقنية المناسبة. لقد حاولنا دائماً إظهار جوهر المسألة البيئية: إنه تدمير العلاقة بين الإنسان والله وبين الإنسان والطبيعة.

تتحدث الفصول الأولى من سفر التكوين عن خلق الأرض والإنسان. هناك عنصران يسيطران على السرد: الانسجام والجمال. الله لا يخلق من أجل الخلق، بل يخلق لأنه يحب. إن محبة الله العاطفية هي التي لا يمكن أن تفشل في أن تصبح عملاً إبداعياً. الله يخلق بالحكمة. في خلقه كل شيء له وظيفته وتناغمه الخاص، كل شيء وكل ، لا شيء يدمر أو يبيد بعضه البعض.

لا يتوقف الله عند καλόν ، فكل شيء καλόν λίαν ، أي ممتاز. وقفاً لعلم اللاهوت الآبائي، فإن هذا الإيمان يقود الإنسان إلى التأمل في الجمال المخلوق. لا يستطيع الإنسان أن يعيش بدون الجمال. لا يخلق الله الأشياء الجميلة فقط، بل يخلق الله ما يقود الإنسان بجماله وأصالته وعظمته إلى التأمل، لأن جمال الخليقة نفسه يروي مجد الخالق (مز 18: 2). [3]

يضع الله الإنسان تاجاً لهذا الخلق. لقد خُلِقَ على صورة الله ومثاله. لقد وضع كحارس للخليقة، وهو حاميها. إن دخول الخطيئة إلى تاريخ البشرية يحطم الانسجام والجمال في الخلق الإلهي. ومع ظهور الخطيئة، دخلت الفردية والأنانية، التي لم تكن معروفة من قبل، إلى تاريخ البشرية.

تفشل الإنسانية، فهي غير قادرة على التوافق والمشاركة في العمل الخلاق لله؛ إن الخطيئة، الصغيرة والتافهة، تسيطر على كل الخليقة، كما تحاول اليوم منتجات التكنولوجيا السقطة والخاطئة أن تسيطر علينا. لقد أكدنا بشكل قاطع أن جذر الدمار العام للبيئة هو الخطيئة. لقد سقطت الإنسانية الآن. في مواجهة نظرية التنمية، القادرة فقط على تقدير الإنتاج الجامح بدلاً من الكرامة الإنسانية، فإننا نقود إلى استهلاك عقيم وغير إنساني. إن المراقبة الدقيقة لعالمنا تؤكد أن التوازنات البيئية الدقيقة قد انقلبت رأساً على عقب بسبب التدمير غير المنضبط للحياة الحيوانية والنباتية. لقد تم استبدال النزاهة الأخلاقية بالفردية والنفعية، مما أدى إلى تأجيج التعطش للثروة: ما يهم هو كيف تحصل عليها. وبالمثل، فإن الاستغلال غير المدروس للموارد الطبيعية يقودنا حتماً إلى الفقر. كل هذا مبرر باسم التقدم والرفاهية.[4]

لاهوت شرحنا هذا المقطع الشهير للقديس بولس في رسالته إلى أهل رومة: "الخليقة كلها

تتألم” (رومية 8: 22)، ويستشهد به بنفس الدالات في الفقرة 2 من الرسالة العامة Laudato Si .
وتصبح الفكرة في اللاهوت الأرثوذكسي أعمق. وهو يعلّمنا أن إحدى مهام الكنيسة هي استعادة العلاقة بين الإنسان والخليقة في شكلها الأصلي. وبما أن المشكلة البيئية هي نتيجة مباشرة للخطيئة، فلا يمكن شفاءها بدون تغيير الإنسان . لذلك لا يمكن إعادة أي علاقة إلى حالتها الأصلية إذا لم يختبر الإنسان أولاً التحول في المسيح في أعماق كيانه.
بالنسبة للأرثوذكسية، فإن الإنسان المهتدي إلى الحياة في المسيح يتوافق مع الإنسان الزاهد. فهو يعترف بأن لا شيء ينتمي إليه. يبتعد طوعية عن أي رغبة في التملك. ليس فقط من حرم من الخيرات المادية، بل من حرر نفسه في داخله من أية رغبة تؤدي إلى إرادة التملك. فهو يمتلك الخير الأعظم، أي المسيح، ويتحرر من أي شيء زائد أو ممتع في هذا العالم. يُشدد البابا فرنسيس على حقيقة أخلاقيات الزهد هذه عندما يقول في الفقرة التاسعة من رسالته العامة ” كُنْ مُسَبَّحاً“ : ”لقد اقترح علينا... زهداً يعني تعلم العطاء، المجرد التخلي. إنه سبيلٌ للمحبة، والانتقال تدريجياً مما أريده إلى ما يحتاجه عالم الله. إنه تحرر من الخوف والجشع والتبعية”.
من خلال التحول – التحول الروحي – كشرط ضروري، لا يصبح الإنسان مجرد تائب بل يصبح إنساناً إفخارستياً . وفي شكره للرب يستخدم ما ” ينفع نفسه ويسعد الآخرين“[5]، دون أن ينسى أن يرد بالشكر ما تلقاه من الله. القداس الإلهي يكشف عن الإنسان الإفخارستي. خلال اجتماع الكنيسة يصبح الفرد شخصاً، وباعتباره شخصاً، ينشئ علاقات. إن أشكال العلاقات المتعددة تشكل شعب الله الجديد الذي تم شراؤه بذبيحة المسيح والذي يجتمع للاحتفال بهذه الذبيحة وتحقيقها. خلال الاحتفال بالقداس الإلهي، يعيد الإنسان إلى الله ما يخصه: الخبز والخمر. لم يبق مني شيء. يقدم الشعب، من خلال المحتفل، ثمار الخليقة هذه، التي لم تعد سجينة في العالم الساقط، بل سلمت إلى الله، محررة ومطهرة للحصول على عمل الروح القدس المقدس. إن هذا التقديس الذي يمتد إلى كل الخليقة، حيث تشارك فيه كل الخليقة، لا يستثنيان. من خلال الخطيئة ابتعد الإنسان عن الله. من خلال الاحتفال الإفخارستي، يتحد الإنسان مع الله، ويستعيد النظام القديم للخليقة.
إن هذه الروح الليتورجية العزيزة على لاهوت متروبوليت بيرغاموم يوانيس زيزيولاس يمكن أن نلقي نظرة خاطفة عليها في الأجزاء الأخيرة من الرسالة العامة Laudato Si . يؤكد البابا فرنسيس على مصلحة المجتمع وتقاسم الخيرات التي نالها من الخالق. الإنسان الإفخارستي ، عضو الجماعة الليتورجية، المخلوق المتواضع أمام عظمة الله الواحد والثالوث، يتلقى البركات الروحية والمادية التي يعطيها لكل المخلوقات. وباعتباره عضواً في هذه العائلة العالمية، فهو يفهم أن ثروته لا تنتمي إليه وحده. وفي هذا الصدد ينظر آباء الكنيسة إلى تقاسم الثروة: إن عدم تقاسم ثروتنا مع أخينا الذي يحتاج إلى المساعدة يعني سرقته وحرمانه من وسائل عيشه. [6]
وتجد هذه وجهات النظر اللاهوتية اعتباراً واسعاً في الرسالة العامة للبابا

فرانسيس Laudato Si . ونحن نتجاوز طوائف كل الرؤى الاجتماعية والتقنية التي تقدمها لنا الرسالة العامة، والتي هي مشتركة أيضاً في التأمل اللاهوتي للكنيسة الأرثوذكسية، ونركز على كيانها وتصرفها المسيحي. إن المسيحي يتخذ من المسيح نموذجاً له. ويرى آباء الكنيسة أن الخلاص في المسيح لا يخص البشرية وحدها، بل يشمل الخليقة كلها من خلال الشخص المتأله. وكما يقول القديس إيريناوس ليونس، فإن المسيح باعتباره آدم الجديد يلخص كل الخليقة، بينما يصر القديس مكسيموس المعترف على أهمية الخلق في تدبير الخلاص. ويرى هذا الأخير الإنسان كعالم مصغر ويعتبر الخلاص في المسيح بمثابة طقس كوني يشارك فيه كل الخليقة المادية. لذلك فإن الهدف النهائي للخلق هو عدم استخدامه وإساءة استخدامه لأغراض الشخصية فقط. يجب أن نعتبر الخلق سامياً ومقدساً. إن أي تدمير للبيئة الطبيعية من قبل الإنسان هو إساءة إلى الخالق ويسبب الحزن. وبحسب درجة مشاركة كل واحد منا في هذه الجريمة، تطلب الكنيسة تحولاً صادقاً، وتغييراً أخلاقياً. يجب اعتبار أي عمل إنساني يساهم في تدمير البيئة بمثابة خطيئة جسيمة. تعلّمنا الرسالة العامة أننا لسنا سادة الخليقة، وأن التصرف على هذا النحو يُظهر الغطرسة البشرية في كل العواقب الناجمة عن ذلك. إن مساهمة اللاهوت الأرثوذكسي تكمن في تقديم أخلاقيات طقسية وإفخارستية وزهدية جديدة قادرة على تحويل الإنسان. وإذا تحول الإنسان إلى كائن متأله، فإن الطبيعة، بالتالي، تكتسب أيضاً كالوس القديمة .

شكراً لكم على اهتمامكم.

---

1. ديمتريوس الأول، «الرسالة العامة». 1 سبتمبر 1989
2. المجمع الأرثوذكسي في كريت، “رسالة الكنيسة الأرثوذكسية في العالم المعاصر”، رقم 1. ف.10، في كايرانز، فاسيولي، وثائق المجمع ، 267-9.
3. كريسافجيس ج. (المحرر)، نعمة وكنيسة صلاة متواضعة. الرؤية البيئية للبطريرك المسكوني للقسطنطينية برثلماوس الأول ، فولوسا 2007، ص 56-57
4. كريسافجيس ج. (المحرر)، النعمة الكونية (المرجع السابق)، ص 30-31
5. صلاة من القداس الإلهي للقديس يوحنا الذهبي الفم.
6. كريسافجيس ج. (محرر)، النعمة الكونية (المرجع نفسه)، ص 32